البحث الإيتيمولوجي عند فخر الدين الرازي

د. زبيدة بن اسباع

جامعة باتنة 1

zebida.bensbaa@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام :2018/06/16 ؛ **تاريخ القبول** : 2018/07/02.؛ تاريخ النشر:2018/07/09

ملخص:

إن دراسة أصول الكلمات من الموضوعات الهامة التي أثارها البحث اللغوي قديما واللسانيات حديثا؛ وهي دراسة تهدف إلى تأصيل الكلمات وتحديد انتمائها ، وإن الموضوع في اللغة العربية له بعد أعمق حين يتصل بلغة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: العربية، القرآن، الدخيل ، المعرَّب، الإيتيمولوجيا

Abstract

The study of the origins of words is one of the important topics raised by linguistic research in ancient and modern languages. It is a study aimed at rooting words and identifying their belonging. The subject in Arabic has a deeper dimension when it comes to the language of the Holy Quran

key words: Arabe, Coran, intruder, arabisation, Itemology

Résumé

L'étude des origines des mots est l'un des thèmes importants soulevés par la recherche linguistique dans les langues anciennes et modernes. C'est une étude visant à enraciner les mots et à identifier leur appartenance. Le sujet en arabe a une dimension plus profonde quand il s'agit de la langue du Saint Coran

les mots clés: : Arabe, Coran, intrus, arabisation, Itemologie

إن البحث في أصول الكلمات وانتمائها « أحد فروع علم اللغة ، التي تدرس المفردات ، وينحصر مجاله في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية ، يذكر فيها: من أين جاءت ؟ ومتى ، وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها. فهو إذا علم تاريخي، يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال»[1].

إن هذا العلم علم نظري عرف عند الغرب بالإيتيمولوجا (Etymology) وهو علم يعنى بتاريخ الكلمات وانتقالها عبر العصور من بيئة إلى أخرى تبعا لمعطيات الحضارة .

[1] رمضان عبد التواب (1433هـ)،فصول في فقه اللغة،مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ص 264.

ينظر أيضا : فوندراس(1950م)ترجمة عبد الحميد الدواخلي،ومحمد القصاص ، القاهرة ،ص226.

وقد كان للعرب جهد متميز يستحق الذكر حين يتعلق الأمر بالبحث في الأنساب عامة وفي اللغة بخاصة؛ لأن ذلك مما تفرد به العرب الذين كانوا حريصين على تلك الحدود الفاصلة بينهم وبين غيرهم وبين لغتهم ولغة غيرهم؛ لذلك نجدهم بحثوا في اللغة العربية ليميزوا بين العربي الفصيح والمعرب والدخيل .

تطرح الفكرة نفسها بقوة في نص القرآن الكريم، الذي نزل باللسان العربي المبين ، فهل كان للألفاظ غير العربية حظ في نص القرآن؟

فكانت عربية القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التي تبناها الفخر الرازي في فكره اللغوي عموما وفي تفسيره الكبير خصوصا فنفى أن يكون في نص القرآن الكريم لفظ غير عربي ، وقد حاول تأكيد ذلك في مواضع كثيرة من تفسيره الكبير؛ نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر ما ورد عنه في الرد على من قال أن لفظتي (المشكاة) و(السجين) ليستا من لغة العرب: « قلنا: عنه جوابان: أحدهما أن كل ذلك عربي، لكنه موافق لسائر اللغات، وقد يتفق مثل ذلك في اللغتين، الثاني أن المسمى بهذه الأسماء لم يوجد أولا في بلاد العرب، فلما عرفوا منها أسماءها، فتكلموا بتلك الأسماء فصارت تلك الألفاظ عربية»[1]. وقد علق الفخر الرازي في تفسيره للمشكاة من الآية الكريمة من سورة النور﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ**﴾[2]فقال: «المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة، هذا هو القول المشهور، وذكروا فيه وجوها أخرى: (أحدها) قال ابن عباس وأبو موسى

[1] الفخر الرازي ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ،ج2، ص10.

[2] النور: 35/24.

الأشعري المشكاة القائم الذي في وسط القنديل الذي تدخل فيه الفتيلة، وهو قول مجاهد والقرظي (والثاني) قال الزجاج(ت 311ه) هي ههنا قصبة القنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة (الثالث) قال الضحاك إنها الحلقة التي يعلق بها القنديل والأول هو الأصح»[1]. فبين أن المشكاة هي الثقب في الجدار وهو دون النافذة في فتحه كما _نقل ذلك_ عن الواحدي[2] أو القنديل من الزجاجة.

كما ذكر الفخر الرازي وجها آخر من وجوه تفسير المشكاة حيث قال: «زعموا أن المشكاة هي الكوة بلغة الحبشة، قال الزجاج(ت 311ه) المشكاة من كلام العرب ومثلها المشكاة وهي الدقيق الصغير»[3]؛ ففي هذا الرأي يعرض صاحب التفسير الكبير وجهة نظر الزجاج(ت 311ه) في أن المشكاة ذات أصل حبشي، وهي بمعنى الكوة أو الشكوة المعروفة بالوعاء من الأدم للماء واللبن، وهي أيضا الدقيق أو ما يعمل منه كما جاء في تفسير معاني القرآن[4] .

وتحدث الفخر الرازي عن لفظة (السجين) من قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ**﴾[5] فقال: «السجين اسم علم لشيء معين أو اسم مشتق عن معنى، قلنا : فيه قولان: (الأول) وهو قول جمهور المفسرين، أنه اسم علم

1 الفخر الرازي ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ،ج 23،ص235.

2 الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق عدنان صفوان داوودي، دار القلم بيروت، ط1، ص505.

3 الفخر الرازي ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ،ج 23،ص235.

4 الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (2004) ، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الدين محمد، دار الحديث، القاهرة ، ج ،4، ص34،35.

5 المطففين: 7/86.

لشيء معين، ثم اختلفوا فيه، فالأكثرون على أنه الأرض السابعة السفلى، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد، وروى البراء أنه _عليه السلام_ قال: (سجين أسفل سبع أرضين)، قال عطاء الخرساني: وفيها إبليس وذريته، وروى أبو هريرة أنه _عليه السلام_ قال: (سجين جب في جهنم)، وقال الكلبي ومجاهد: سجين صخرة تحت الأرض السابعة»[1]. وأما ما جاء في:«(القول الثاني) أنه مشتق، وسمي سجينا فعّيلا من السجن، وهو الحبس والتضييق كما يقال فسيق من الفسق، وهو قول أبي عبيدة والمبرد(ت 286هـ) والزجاج(ت 311هـ). قال الواحدي وهذا ضعيف والدليل على أن سجينا ليس مما كانت العرب تعرفه قوله: ﴿**وَمَا أَدْرَىٰكَ مَاسِجِّينٌ** ﴾[2]؛ أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وقومك ولا أقول هذا ضعيف، فلعله إنما ذكر ذلك تعظيما لأمر سجين»[3]. ففي تفسير كلمة السجين يبرز الفخر الرازي رأيين اثنيين؛ الأول منهما يؤكد اشتقاق اللفظة من السجن ليذهب إلى معان مختلفة تحضر فيها صفة الموضع كالغور من الأرض أو جهنم تأكيدا لعربية اللفظة انطلاقا من آلية الاشتقاق، أما الرأي الآخر الذي نسبه للواحدي[4] فقد أورد فيه نفيا لعربية اللفظة، غير أن الفخر الرازي يضعف هذه الفكرة ويشير إلى أن قوله تعالى﴿**وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ**﴾[5] هو للتعظيم.

[1] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص92.

[2] سورة المطففين، 86/8.

[3] الفخر الرازي، التفسيرالكبير،ج 31، ص92.

[4] الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص858.

[5] المطففين: 86/8.

كما نفى الفخر الرازي الرأي القائل أن تكون لفظة (طوبى) ليست عربية في قوله تعالى:﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ**﴾[1]، وإن كان بعضهم قد اتفقوا على عجميتها فإنهم اختلفوا في تحديد أصلها؛ منهم من قال (طوبى) اسم الجنة بالحبشية، وقيل: الجنة بالهندية، وقيل: البستان بالهندية، وقد وصف المفسر هذا القول بالضعيف؛ لأنه ليس في القرآن إلا العربي لا سيما واشتقاق هذا اللفظ في اللغة العربية ظاهر ، فقد قال أهل اللغة إن طوبى مصدر من طاب؛ معنى طوبى: أصبت طيبا؛ من فرح، ونعيم، وغبطة، وحسنى، وخير، وكرامة مما يتصف به العيش الطيب لهم[2].

وقد جاءت لفظة(التنور) التي وردت في القرآن الكريم مرتين اثنتين ، الأولى في سورة (هود) قوله تعالى : ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ**﴾[3] والاخرى في سورة (المؤمنون) من الآية الكريمة: ﴿**فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ**﴾[4]يقول الإمام الفخر الرازي:« في التنور قولان: أحدهما أنه التنور الذي يخبز فيه ، والثاني أنه غيره»، ويفصل المفسر في القول الأول:«وهو أنه التنور الذي يخبز فيه، فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد، وهؤلاء اختلفوا، فمنهم من قال: إنه تنور لنوح عليه السلام ،

[1] الرعد: 13/29.

[2] ينظر: الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق عدنان صفوان داوودي، دار القلم بيروت، ص353، وينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج19 ، ص50، 51 .

[3] هود: 11/40.

([4]) المؤمنون: 23/27.

وقيل: كان لآدم . وقال الحسن: كان تنورا من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح عليه السلام، واختلفوا في موضعه فقال الشعبي: إنه كان بناحية الكوفة، وعن علي رضي الله عنه، أنه في مسجد الكوفة، قال : وقد صلى فيه سبعون نبيا، وقيل بالشام موضع يقال له: عين وردان وهو قول مقاتل: فار التنور بالهند، وقيل: إن امرأته كانت تخبز في ذلك التنور، فأخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في الحال بوضع تلك السفينة»[1] الجلي أن لفظة التنور في القول الأول محمولة على التفسير على سبيل المعنى الحقيقي، وهو قول جمهور المفسرين فالتنور هو الإناء الذي يخبز فيه، ويشير صاحب لسان العرب أن التنور الذي يخبز فيه؛ يقال هو في جميع اللغات كذلك[(2)]، والتنور عمت بكل لسان، قال ابن منصور«غير أن المفسرين اختلفوا في ملكيته، هل هو لآدم أم لحواء أم كان لنوح ، كما اختلفوا أيضا في موضعه هل كان بناحية الكوفة أو في مسجدها الذي صلى فيه سبعون نبيا ، أو هو في الشام بوضع عين ورد، أو هو في الهند . ومهما يكن من اختلاف فإن المتفق عليه أن امرأة نوح اخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاستجاب لأمر ربه في قوله تعالى : ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ**﴾[(3)] .أما القول الثاني فقال الفخر الرازي في شأنه :« ليس المراد من التنور تنور الخبز»[(4)] ثم فصل في المسألة بقوله:«وعلى هذا التقدير ففيه أقوال ، الأول :

([1]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، مغاتيح الغيب، 17/225.

([2]) ينظر : ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(2011م)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط7، (مادة : تنر).

([3])المؤمنون، 23/27.

([4]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج17، ص225.

أنه انفجر الماء من وجه الأرض كما قال: ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[1]، والعرب تسمى وجه الأرض تنورا»[2]أما « الثاني أن التنور أشرف موضع في الأرض و أعلى مكان فيها وقد أخرج إليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك معجزة له، و أيضا المعنى انه لما نبع الماء من أعالي الأرض، و من الأمكنة المرتفعة لارتفاعها بالتنانير»[3] وقد جاء في اللسان أن التنانير [4] هي موضع بذاته وتنانير الوادي محافله... والثالث: (فار التنور) أي طلع الصبح وهو منقول عن علي رضي الله عنه، والرابع (فار التنور) يحتمل أن يكون معناه أشتد الأمر كما يقال: حمي الوطيس ومعنى الآية رأيت الأمر يشتد والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك إلى السفينة، وهذا الوجه من التفسير محمول على التأويل؛ مجازا لا حقيقة فالتنور في هذا السياق وجه الأرض وهو أشرف الأماكن، وأعلاها و مرتفعها، وطلوع الصبح، واشتد الأمر فكان فوران الماء وتدفقه في موضع من هذه المواضع، أو في طلوع الصبح والمعاني برمتها معبرة على اشتداد الأمر والإقبال على الهلاك.

غير أن المفاضلة بين التفسير والتأويل عند الفخر الرازي تقتضي الإجابة عن سؤاله:«فإن قيل فما الأصح من هذه الأقوال »[5]ثم يجيب عنه« الأصل

([1]) القمر: 54/11

([2]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 17، ص225

([3]) الفخر الرازي، التفسير الكبير ،ج 17، ص225

([4]) ابن منظور، لسان العرب، (مادة : تنر)

([5])الفخر الرازي، التفسيرالكبير، ج 17، ص226 .

حمل الكلام على الحقيقة ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبر فيه فوجب حمل اللفظ عليه ولا امتناع في العقل في أن يقال : إن الماء نبع أولا من موضع معين ، وكان ذلك الموضع تنورا»[1] وقد أخذ المفسر بالحقيقة العرفية لأن العرب تسمي وجه الأرض تنورا كما تسمي بعض المواضع بالتنانير[2]. وفي مفارقة لطيفة يفتح المفسر أفقا لقبول التأويل في إجابته الثانية على سؤاله المطروح بتعبيره: « فإن قيل : ذكر التنور بالألف واللام وهذا إنما يكون معهودَ سابقٍ معينٍ معلوم عند السامع وليس في الأرض تنور هذا شأنه ، فوجب أن يحمل ذلك على أن المراد إذا رأيت الماء يشتد نبوغه والأمر يقوى فانج بنفسك وبمن معك»[3]، وبهذا يكون فوران التنور تصويرا لاشتداد تدفق الماء ودنو الهلاك. ويكون التعبير على هذا الوجه محمولا محمل الكناية التي يوجد فيها من البلاغة والبيان ما ليس في التصريح.

لقد حاول الفخر الرازي تعميق فكرته القائلة بعربية القرآن في حديثه عن كلمة (تنور) في الآيتين المذكورتين فذهب مذهب الليث في قوله :«التنور لفظة عمت بكل لسان وصاحبه تنار، قال الزهري: وهذا يدل على أن الاسم قد يكون أعجميا فتعربه العرب فيصير عربيا، والدليل على ذلك أن الأصل تنار ولا يعرف في كلام العرب تنور قبل هذا، ونظيره ما دخل في كلام العرب من كلام العجم الديباج، والدينار، والسندس، والاستبرق، فإن العرب لما تكلموا بهذه الألفاظ صارت عربية»[4]، حيث اعتمد الفخر الرازي مبدأ تداول اللفظة

([1])المصدر نفسه، ج 17، ص226 .

([2]) ينظر : ابن منظور، لسان العرب، (مادة: تنر).

([3]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 17، ص226 .

([4]) المصدر السابق،ص 17، ص226 .

بعينها في اللسان العربي واللسان الأعجمي وكونها واحدة في اللغتين يجعلها عربية، وقد جاء ذكر النص نفسه تقريبا في لسان العرب منسوبا إلى أبي منصور الثعالبي. في هذه الفقرة، قال الليث:«التنور عمت بكل لسان ، قال أبو منصور: وقول من قال إن التنور عمت بكل لسان يدل على أن الاسم في الأصل أعجمي فعربتها العرب فصار عربيا على بناء فعُول، والدليل على ذلك أن أصل بنائه تنّر، قال : و لا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل و هو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس والاستبرق وما أشبهها ولما تكلمت بها العرب صارت عربية»[1].

وقد فصل ابن جني(ت 392هـ) في أمر اشتراك اللغات في كلمة (تنور) فقال:«إن التنُّور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم، فإن كان كذلك فهو طريف، إلا أنه على كل حال فعُول أو فعنُول؛ لأنه جنس، ولو كان أعجميا لا غير لجاز تمثيله (لكونه جنسا ولاحقا) بالعربي فكيف وهو أيضا عربي؛ لكونه في لغة العرب غير منقول إليها، وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولا إلى اللغة العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها، ومعلوم سعة اللغات العربية، جاز أيضا أن يكون وفاقا وقع فيها»[2]. بين ابن جني(ت 392هـ) أن وزن تنور محتمل بين(فعُول) و(فَعْنُول)، لأنه جنس في كثير من اللغات من باب الوفاق، وقد فسر صاحب الخصائص ذلك مُعربًا عن انطباع الظاهرة في نفسه قائلا:«ويبعد في نفسي أن يكون في الأصل للغة واحدة، ثم نقل إلى جميع اللغات؛ لأنا لا نعرف له

([1]) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: تنر).

([2]) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية. القاهرة ج3، ص203.

في ذلك نظيرا، وقد يجوز أيضا أن يكون وفاقا وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك، ثم انتشر بالنقل في جميعها، وما أقرب هذا في نفسي؛ لأنا لا نعرف شيئا من الكلام وقع الاتفاق عليه في كل لغة، وعند أمة، هذا كله إن كان في جميع اللغات هكذا، وإن لم يكن كذلك كان الخطاب فيه أيسر»[1]. فأكد ابن جني(ت 392هـ) أنه شاع استعمال الكلمة في لغتين أو أكثر ثم عَمَّ كثيرا من اللغات.

وقد كان الفخر الرازي مستأنسا بما ذهب إليه ابن جني(ت 392هـ)، فبحث في أصول بعض الكلمات متوغلا في تفاصيلها ليؤكد مبدأه القائل بعربية القرآن وذلك في تفسيره لكلمة مزجاة من الآية الكريمة: ﴿**قَالُوا يَٰأَيُّهَاٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ**﴾[2] وجاء في «معنى الازجاء في اللغة الدفع قليلا، ومثله التزجية...قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِ سحابا**﴾[3]، وزجيت فلانا بالقول دافعته. وفلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالحيلة»[4]. والأقرب أن التزجية هي دفع الشيء على وجه القلة والحيلة وقد وصف إخوة يوسف «تلك البصاعة بأنها مزجاة لنقصانها أو رداءتها أو لهما جميعا ... في بيان أنه لِمَ سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة؟ وفيه وجوه الأول: قال الزجاج (ت 311هـ): هي من قولهم فلان يزجي العيش؛ أي يدفع الزمان

(1) المصدر السابق، 3/203.

(2) يوسف: 88/12.

(3) النور، 43/24.

(4) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج18، ص201.

بالقليل، والمعنى أنا جئنا ببضاعة مزجاة ندفع بها الزمان، وليس مما ينتفع به وعلى هذا الوجه فالتقدير ببضاعة مزجاة بها الأيام. الثاني: قال أبو عبيد: إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة مقبولة ممن ينفقها» [1] فعبرت البضاعة المزجاة عن سوء حالهم، «والازجاء عند العرب: السوق والدفع ... بضاعة مزجاة أي مؤخرة مدفوعة عن الانفاق لا ينفق مثلها إلا من اضطر واحتاج إليها لفقد غيرها مما هو أجود منها. الرابع: قال الكلبي: مزجاة لغة العجم، وقيل: هي من لغة القبط. قال أبو بكر الأنباري: لا ينبغي أن يجعل لفظ عربي معروف الاشتقاق والتصريف منسوبا إلى القبط» [2].لقد بين المفسر في هذا النص أن كلمة مزجاة عربية لها أصل اشتقاق وهو الازجاء وهي كلمة متصرفة يقال أزجي، وأزجاء ومزجاة .. لذلك انتفى أن تكون اللفظة بهذه التفاصيل لفظة أعجمية.

وعلى الرغم من انتصار الفخر الرازي لعربية القرآن فإن ذلك لم يمنعه من ذكر كثير من الآراء القائلة بعجمة مجموعة من ألفاظه وقد أجمل الرجل ذلك في تفسيره لكلمة (هيت) من الآية الكريمة من قوله –عز وجل–: ﴿**وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ [3] فذكر في المسألة الأولى: «قال الواحدي: هيت لك اسم للفعل نحو: رويدا، وصه، ومه، ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة، وقال الأخفش (هَيْتَ لك) مفتوحة الهاء والتاء، ويجوز أيضا كسر التاء ورفعها، وقال الواحدي: قال أبو الفضل المنذري: أفاد ابن التبريزي (ت 645) عن أبي زيد قال: هيت لك بالعبرانية هيالح؛ أي تعال عرّبهُ القرآن، وقال

[1] الفخر الرازي،التفسير الكبير،ج 18، ص201.

[2] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص201، 202.

[3] يوسف: 23/12.

الفراء(ت 516هـ): إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى بكة فتكلموا بها . قال ابن الأنباري: وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس[1] ولغة العرب والفرس في (السجيل)[2] ولغة العرب والترك في (الغساق)[3] ولغة العرب والحبشة في (ناشئة الليل)[4] »[5].

لقد نقل عن المفسر الواحدي في كون ﴿**هَيْتَ لَكَ**﴾[6] اسم فعل بمعنى (هلم): بمعنى أقبل بسرعة، مثلها مثل صه، ومه ... وغيرهما.وعن ابن التبريزي عن أبي زيد أن الكلمة عبرية أصلها (هيالح)؛ أي تعال، وعليه فإن وجودها في العربية هو وجود كلمة عربها القرآن الكريم. وإن ذكر مثل هذه اللفظة بأصلها العبري –إن صدق ذلك– هو نقل صادق لمشهد من مشاهد القصص القرآني؛ وإن قول امرأة العزيز لسيدنا يوسف –عليه السلام– ﴿**هَيْتَ**

---

[1] القسطاس: هو أقوم الموازين. ينظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة(قسط).

([2]) السجيل:من أسجلته أي أرسلته سجيل بمعنى سجين، وهي حجارة مما كتب الله أن يعذب بها الكافرين من قوله تعالى:﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾. سورة الفيل،4/105. ينظر: الجوهري، الصحاح،(مادة: سجل)، ص520، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة: سجل)، 130/7.

([3]) الغساق: غسق الليل: أظلم؛ والغاسق أول الليل، والغسَاق و الغسَّاق ما يسيل من صديد أهل النار، وقيل: المنتن البارد الشديد البرودة الذي يحرق من برده كإحراق الحميم في نحو قوله تعالى ﴿.لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾. سورة النبأ،24/78 ؛ أي بارد منتن. ينظر الجوهري، الصحاح، (مادة:غسق)، ص848. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة:غسق)، 49/11.

[4] ناشئة الليل: أول الليل، وما ينشأ في الطاعات من الليل، والناشئة أيضا لأول النهار و الليل. قال تعالى ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. سورة المزمل،6/73. ينظر: لسان العرب (مادة: نشأ)،253/14.

[5] الفخر الرازي، التفسير الكبير،ج 18، ص113.

[6] يوسف: 12/23.

لَكَ﴾ بلسانها العبري يلخص لنا أحداثا كثيرة في الإغراء لم يفصل في شأنها نص القرآن الكريم. وقد ذهب الفراء(ت 516هـ) –أيضا– إلى القول بعجمة اللفظة وقد نسبها إلى اهل حوران، وهي مما اتفقت العرب فيها مع أهلها شأن (القسطاس) الرومية، و(السجيل) الفارسية، و(الغساق) التركية، و(ناشئة الليل) الحبشية.

ومثال ذلك أيضا ما قال به في تفسيره للفظ الجلالة (الله) حيث قال المفسر: «في كيفية اشتقاق هذه اللفظة بحسب اللغة، قال بعضهم هذه اللفظة ليست عربية، بل عبرانية أو سريانية، فإنهم يقولون: (إلها رحمانا ومرحيانا)، فلما عرب جعل (الله الرحمن الرحيم) وهذا بعيد، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن في كون هذه اللفظة عربية أصلية، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا**﴾[2] وأطبقوا على أن المراد منه لفظة (الله) وأما الأكثرون فقد سلموا كونها لفظة عربية»[3]. حيث ذهب الفخر الرازي إلى أن لفظة الله عربية أصيلة واشتراك اللغات في تداولها كالعربية والعبرانية والسريانية لا ينفي عربيتها.

إن هذا النوع من الطرح و إن كان وثيق الصلة بموضوعات فقه اللغة فإن ذلك لا يجعلها بعيدة عن علوم اللغة ، وقد دعا علماء اللغة المحدثون إلى ضرورة إلحاق فقه اللغة بعلم اللغة العام كما صرح بذلك كمال بشر في كتابه

[1] لقمان: 25/31.

[2] مريم: 65/19.

[3] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص163.

"قضايا لغوية"[1].وعرض الفكرة البدراوي زهران في كتابه "مقدمة في علوم اللغة" حيث أفرد فصلا خاصا للحديث عن «علم اللغة وعلوم اللغة وفقه اللغة ودلالة مصطلحاتها في التراث» وهو الفصل الخامس[2]؛حيث عرض جهود السلف في فقه اللغة وعلوم اللغة ففي حديثه عن كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس – على سبيل المثال– يقول:« إن لفقه اللغة مباحث وقضايا عند ابن فارس وهي القضايا العامة التي تتصل باللغة»[3]وهذا يؤكد الارتباط الوثيق في المادة العلمية التي تمثل قاسما مشتركا بين فقه اللغة وعلومها.

والفكرة التي تطرح نفسها بقوة في هذا المقام هي الفكرة القائلة بأن« مباحث علم تاريخ الكلمات و أصولها التي تس (Etymology) تتصل بدراسة المعجمات ولها علاقة بفلسفة اللغة»[4] في محاولة للكشف عن حقيقتها وانتمائها .

وقد تحدث علي عبد الواحد وافي في تعريفه لعلم اللغة عن البحوث اللغوية وما يندرج منها ضمن هذا التخصص. و ألحق بها البحث في أصول الكلمات[5] فقال:«البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما، بأن نبحث مثلا عن الأصول الإغريقية و اللاتينية... وغيرها التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات الفرنسية. ويطلق على هذا البحث اسم

1 كمال بشر (1962)، قضايا لغوية، دار الطباعة القومية، ص6، 139.

2 البدراوي زهران (2012)، مقدمة في علوم اللغة، دار العالم العربي، القاهرة، ط2، ص 132.

3 البدراوي زهران (2012)، مقدمة في علوم اللغة ، ص 123

4 المرجع نفسه ، ص 139.

5 ينظر : علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة، ط7، ص 10

الإيتيمولوجي (Etymology) أي أصول الكلمات»[1] وإن هذا البحث يدرس أمورا جزئية الهدف منها تحديد الأصول التي جاءت منها كل كلمة من الكلمات على حده[2]، وإن معرفة أصول الكلمات يساعد على تحديد التطورات في مستوى الصوت والدلالة كما يمثل هذا البحث خطوة إجرائية هامة تمهد طريق البحث الصوتي والبحث الدلالي.

وقد تحدث برجستراسر في كتابه " التطور النحوي للغة العربية" عن المفردات وخص لها بابا أشار فيه إلى أصول الكلمات التي دخلت العربية ممثلة مظهرا من مظاهر تفاعل اللسان العربي وغيره من الألسنة فقال:« و اما باب المفردات فنحن أبعد بكثير من بلوغ غاية عمل التحليل والتعليل منا عن بلوغ غاية عمل الجمع والوصف، وسبب ذلك مع سعة اللغة العربية وكثرة ألفاظها المانعة من الإحاطة بها، ان وظائف التحليل والتعليل لمجموع المفردات متعددة»[3] ثم يفصل في شأنها« و إليكم بأهمها ؛ فإذا بدأنا بالكلمة الواحدة على حدتها لزمنا أن نفحص عن أصلها واشتقاقها ودرجة قدمها أتكون أصلية مما تشترك فيه اللغة مع أخواتها؟أم مخترعة حديثة ؟ أم دخيلة؟ فإذا كان كذلك فمن أي لغة هي؟ وتفحص عن زمان اختراعها أو استعارتها، ثم عن تغيرات لفظها ومعناها، وإذا كانت زالت عن الاستعمال تتبعنا في أي وقت كان ذلك»[4] وبهذه الطريقة يكتمل«لكل كلمة تاريخ وترجمة لحياتها، ويتكون

[1] المرجع نفسه، ص11

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص12

[3] ج. برجستراسر(1981) ، التطور النحوي للغة العربية، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة، ص 139

[4] المرجع نفسه، ص 139.

القاموس من مجموع هذه التواريخ»[1] إن ملخص فكرة برجستراسر أن ألفاظ اللغة العربية ثروة يعسر الإحاطة بها جميعا . و مهما يكن من صعوبة فإن أفضل انطلاقة هي البحث عن أصلها ، وأصل اشتقاقها ، وهل هي ابنة اللغة أصالة؟ أم هي وافدة من طريق الدخيل أو المعرّب؟، وما هي أصولها؟، و ما هو زمن ظهورها؟، وهل دلالتها باقية على أصولها أم تطورت؟، ومن هذا الطريق يوضع التصور الشامل للكلمة وتحدد أبعادها التاريخية والحضارية أيضا.

والملاحظ أن الفخر الرازي في انتصاره لعربية القرآن لم يهمل ذكر الآراء القائلة بأن بعض الكلمات القرآنية ليست عربية، ولكنه تبنى تصورا لغويا ، و اعتنق فلسفة جرت مجرى الآيات التي أكدت اللسان العربي في القرآن وبهذا غدا ذكر هذا الرأي مقترنا باسم الفخر الرازي في كثير من المؤلفات كالمزهر للسيوطي ينسب للفخر الرازي قوله: «قال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: ما وقع في القرآن من نحو المشكاة، والقسطاس، والإستبرق، والسجيل، لا نسلم أنها غير عربية، بل غايته أن وَضْع العرب فيه وافق لغة أخرى كالصابون، والتنور، فإن اللغات فيها متفقة. قلت: والفرق بين هذا النوع وبين المعرب أن المعرب له اسم في لغة العرب غير اللفظ الاعجمي الذي استعملوه بخلاف هذا»[2]. فنجد الفخر الرازي يميز بين ما جاء في توافق اللغات، وهي الكلمة المتداولة في أكثر من لغة، وقد ميز بين ما سماه بتوافق اللغات، والمعرب، ذاك أن المعرب كلمة غير عربية لها مقابل عربي مثل: الدّشت وهي

[1] المرجع نفسه،ص نفسها .

[2] جلال الدين السيوطي(1987) ، المزهر في علوم اللغة، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت،ج1، ص167.

الصحراء، والبوصى: السفينة، والقيروان: الجماعة فالكلمات المشار إليها فارسية الأصل وضع لها العرب ما يقابلها في لغتهم[1]. لكن السؤال الجدير بالذكر في هذا المقام. هل الألفاظ المعربة وما يقابلها من الألفاظ العربية مرادفات.

مراجع البحث:

القرآن الكريم، رواية ورش

1. رمضان عبد التواب (1433هـ)،فصول في فقه اللغة،مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية.
2. فوندراس(1950م)ترجمة عبد الحميد الدواخلي،ومحمد القصاص ، القاهرة .
3. الفخر الرازي ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي .
4. الواحدي علي بن احمد أبو الحسن(2014) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن الجوزي، مصر، ط1.
5. الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (2004) ، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الدين محمد، دار الحديث، القاهرة .
6. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(2011م)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط7،
7. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية. القاهرة .

[1] ينظر: المصدر نفسه،ج1،ص 289.

8. كمال بشر (1962)، قضايا لغوية، دار الطباعة القومية.

9. البدراوي زهران (2012)، مقدمة في علوم اللغة، دار العالم العربي، القاهرة، ط2.

10. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة، ط7.

11.ج. برجستراسر(1981) ، التطور النحوي للغة العربية، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة.

12. ج

لال الدين السيوطي(1987) ، المزهر في علوم اللغة، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.